عبد الحافظ صحبوض

باحث بسلك الدكتوراه في الحوار الديني والحضاري في الثقافة الإسلامية

جامعة السلطان مولاي سليمان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

بني ملال – المغرب.

مقال بعنوان:

مركزية القرآن الكريم في المنهاج الجديد لمادة التربية الإسلامية

سورة يوسف نموذجا

من المعلوم أن القرآن الكريم هو اللبنة الأساسية التي يتأسس عليها صرح الفكر الإسلامي عموما، والفكر التربوي الإسلامي على وجه الخصوص. ولذلك فقد حظي القرآن الكريم في المنهاج الجديد لمادة التربية الإسلامية بمكانة أساسية ومركزية مقارنة بمكانته في المنهاج القديم للمادة، فهذا الأخير القائم على نظام الوحدات الموضوعية اعتُبر فيه القرآن الكريم مكونا شبه مستقلٍ عن المكونات الأخرى للمادة؛ دعامة الحديث النبوي الشريف، ودروس الوحدات العشر[1]. أما المنهاج الجديد القائم على نظام المداخل (مدخل التزكية، الاقتداء، الاستجابة، القسط، الحكمة) فقد اعتبر القرآن الكريم بمثابة الخلفية الابستمولوجية والمعرفية المؤطرة لكل دروس المادة في مداخلها المختلفة.

ومن هذا المنطلق سيحاول هذا المقال الإجابة عن الإشكالية التالية: أين تتجلى مركزية القرآن الكريم في المنهاج الجديد لمادة التربية الإسلامية؟. وتتفرع عن هذه الإشكالية أسئلة فرعية من شأن الإجابة عنها الاقتراب من ملامسة جوابٍ شافٍ للإشكالية الرئيسة. ومن هذه الأسئلة نذكر: "ما أهمية السورة القرآنية المقررة في المنهاج الجديد للمادة؟ وماهي تجليات مركزية وهيمنة السورة القرآنية في المنهاج الجديد لمادة التربية الإسلامية من خلال سورة يوسف؟

- أولا: مركزية القرآن الكريم والسورة المقررة في المنهاج الجديد لمادة التربية الإسلامية

لا شك أن من الإصلاحات الأساسية المحدثة في منهاج مادة التربية الإسلامية في سياق مراجعة البرامج والمناهج الخاصة بالتربية الدينية بالمغرب سنة 2016، هو إعادة الاعتبار للقرآن الكريم ضمن المحتوى المعرفي للمادة، من خلال اعتماد سورتين قرآنيتين مقررتين في كل مستوى دراسي بالسلك الإعدادي بدل سورة واحدة في المنهاج القديم. واعتماد سورة قرآنية في كل مستوى دراسي بالسلك الثانوي التأهيلي بعدما كانت مغيبة في المنهاج السابق.[2] وكذا منح السور المقررة دورها التأطيري لمختلف دروس المداخل الأخرى تحقيقا لمبدأ النسقية والانسجام والتكامل بين البنية المعرفية للمادة في طابعها الكلي والشمولي، مما يجعل المتعلم يعيش مع السورة القرآنية المقررة؛ معرفياً، ومهارياً، ووجدانياً؛ (تجويداً، وحفظا لمتنها، وفهماً لمعانيها، وتدبراً لأسرارها، واستشهاداً لبناء المفاهيم، وتعليلاً للمواقف والسلوكيات). ومن مظاهر مركزية السورة المقررة في المنهاج الجديد ما يلي:

- تأطيرها لمختلف المفاهيم والقضايا المتداولة في كل مدخل.
-توظيف نصوص وظيفية من السورة المقررة كنصوص للانطلاق.

-توظيف نصوص قرآنية أثناء بناء مفهوم أو تعلمات.
-تقويم مهارة الاستشهاد اعتماداً على السور المقررة.
-تقويم قدرة المتعلم على توظيف السور المقررة في معالجة المفاهيم والقضايا الواردة في المداخل الأخرى.[3]

بالإضافة إلى وظيفية ومركزية السورة المقررة في علاقتها بمختلف الدروس، اهتم المنهاج الجديد كذلك بالبعد التكاملي بين البنية المعرفية لمداخل المادة تحقيقا لمقاصدها التربوية وأهدافها التدريسية، وهو ما أشارت إليه وثيقة المنهاج: "فتزكية النفس بتعظيم الله ومحبته ودوام الاتصال به، والاقتداء بالرسول الكريم نموذج الكمال البشري تعبدا وسلوكا، من خلال الاستجابة لأوامر الله ورسوله وإخلاص العبودية لله وحده، وذلك كله يدفع بالفرد للتحقق بالمواطنة الصالحة، من خلال تمثل حقوق الله وحقوق النفس وحقوق المجتمع، واتخاذ مواقف ومبادرات إيجابية تهدف تحقيق النفع العام(حيثما تكون المصلحة يكون شرع الله)، على اعتبار أن المواطن الصالح حامل رسالة العمارة في الأرض وصلاحها."[4]

- **ثانيا: سورة يوسف نموذجا لمركزية وهيمنة السورة المقررة**

يمكن أن نجلي مركزية السورة القرآنية باعتبارها خلفية ابستمولوجية ومعرفية مؤطرة لبقية دروس المداخل الأخرى، من خلال سورة يوسف المقررة بالسنة الأولى بكالوريا.[5] وذلك بإبراز الحضور الوظيفي البارز لهذه السورة في بناء المفاهيم والاستدلال عليها في مختلف المراحل الديداكتيكية للدرس؛ تمهيداً، وبناءً، وتقويماً، و في كل مدخل على حدة:

1- مدخل التزكية:

يعتبر مدخل التزكية بمكونيه القرآن الكريم والعقيدة بمثابة المنطلق الأساس الذي تؤسس عليه معارف ومهارات ومواقف باقي دروس المداخل الأخرى لاشتماله على الجانب العقدي التوحيدي من جهة، والقرآن الكريم من جهة ثانية، وهو ما يُسهم في تحقيق "تزكية النفس وتطهيرها بتوحيد الله تعالى وتعظيمه ومحبته، وذلك بدوام مناجاته من خلال تلاوة القرآن، والاتصال به وتعرف قدرة الله وعظمته قصد ترسيخ قيمة التواضع لدى المتعلم(ة)"[6] لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢﴾ [سورة الجمعة آية 2]. وفيما يلي سنوضح مسألة هيمنة سورة يوسف في البناء الديداكتيكي والمفاهيمي لدروس هذا المدخل من خلال الأمثلة التالية:

- درس الإيمان والغيب: في هذا الدرس تتجلى علاقة الربط بينه وبين سورة يوسف واضحة، لأنه صُدّر بقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ [سورة يوسف آية 3]، "فما أخبر به الوحي(القرآن) من غيب هو من مقتضيات الإيمان الذي لا يحتاج إلى دليل ولا برهان".[7]
- درس الإيمان والعلم: تتجلى العلاقة النسقية بين هذا الدرس و سورة يوسف من خلال النص القرآني الذي صُدّر به، قال تعالى: ﴿۞ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٢٢﴾ [سورة يوسف آية 22] فسيدنا يوسف عليه السلام استطاع بفضل إيمانه وعلمه أن يدبر الأزمة الاقتصادية (أزمة القحط) التي مرت منها بلاد مصر.

2- مدخل الاقتداء:

ينصب اهتمام هذا المدخل على السيرة النبوية قصد تحقيق مبدأ التأسي والاقتداء برسول الله ﷺ وصحابته الكرام مصداقا لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [سورة الأحزاب آية 21] .

وتتضح العلاقة النسقية بين السورة المقررة ودروس مدخل الاقتداء من خلال الأمثلة التالية:

- درس صلح الحديبية وفتح مكة: من القضايا التي تظهر الانسجام والنسقية بين سورة يوسف وهذا الدرس مسألة تحقق رؤيا الأنبياء؛ رؤيا سيدنا محمد ﷺ في دخول بيت الله الحرام: ﴿۞ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۝٢٧﴾ [سورة الفتح آية 27] . و رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ [سورة يوسف آية 4].

- درس الرسول ﷺ مفاوضا ومستشيرا: صُدّر هذا الدرس بقوله تعالى: ﴿۞ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة يوسف آية 10] . فقد شكّل مقترح أحد إخوة يوسف عليه السلام استبدال قتله بإلقائه في البئر بداية رحلة تحقيق التمكين له بفضل الله تعالى. وللدلالة أيضا على أهمية الشورى والتفاوض بين الرأي والرأي الآخر.

3- مدخل الاستجابة:

يهتم هذا المدخل بالمجال الفقهي عبادةً ومعاملةً، وذلك بامتثال الأوامر واجتناب النواهي قصد تحقيق الفلاح في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الأنفال آية 24]. ومن تجليات العلاقة النسقية بين سورة يوسف ودروس هذا المدخل ما يلي:

- درس الزواج؛ الأحكام والمقاصد: تتجلى العلاقة النسقية بين هذا الدرس والسورة المقررة في كونه مُصدّراً بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴿٢١﴾﴾ [سورة يوسف آية 21] هذه الآية تُوضح "أهمية الأولاد في الحياة الزوجية، وقيمة الأمانة والوفاء في حفظ العلاقة الزوجية وبناء الأسرة الملتحمة."[8]
- درس الطلاق؛ الأحكام والمقاصد: صُدّر هذا الدرس بقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة يوسف آية 25] ، لبيان أن قضية الخيانة الزوجية تكاد تستحيل معها الحياة الزوجية، وبالتالي فهي من الأسباب المباشرة للطلاق.

4- مدخل القسط:

يروم هذا المدخل التعرف على مختلف الحقوق (حق الله، حق النفس، حق الغير، حق البيئة ...) من أجل تحقيق "التعامل الإيجابي مع كل ما خلق الله برعاية حقوقه وإصلاح أحواله"[9]. وتتجلى المكانة المركزية والدور التأطيري للسورة المقررة لمضامين ومحتويات دروس هذا المدخل بجلاء من خلال نماذج من الدروس نذكرها كالآتي:

- درس العفة والحياء: يمكن القول أنه كلما ذكر موضوع العفة والحياء إلا ويتم استحضار قصة يوسف عليه السلام كنموذج خلّده القرآن الكريم للاقتداء به في هذا المقام، ولذلك تم تأطير هذا الدرس بما يناسبه من سورة يوسف؛ ﴿فَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة يوسف آية 32] .
- درس الصبر واليقين: تتجلى العلاقة النسقية بينه هذا الدرس والسورة المقررة في التأطير المعرفي لهذا الدرس بقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة يوسف آية 83]، فهذه الآية القرآنية تشكل تجسيداً واقعياً لمفهومي الصبر واليقين اللذين تحلى بهما نبي الله يعقوب عليه السلام تجاه الابتلاء الذي تعرض له.

5- مدخل الحكمة:

يمكن اعتبار هذا المدخل بمثابة الثمرة اليانعة للمداخل السابقة، فالناظر في طبيعة العلاقة بين هذه المداخل سيجد بأنها علاقة تكامل وتعاضد؛ بحيث تحقق لدى المتعلم(ة) شخصية متوازنة، بدءاً بتزكيته من كل ألوان الشرك والخرافة، مروراً بوضعه أمام النموذج العملي للاقتداء به قصد تحقيق الاستجابة على الوجه الأكمل، وذلك باحترام حق الله وحق النفس والغير والبيئة، وصولاً إلى بناء مواطن صالح، فاعل بحكمة، يبادر ويسعى إلى تحقيق النفع العام قصد الرقي بمحيطه ومجتمعه. ويمكن أن نبين العلاقة النسقية بين هذا المدخل وسورة يوسف من خلال الوقوف على بعض عناوين بعض الدروس المندرجة تحته كالآتي:

- درس الكفاءة والاستحقاق أساس التكليف: وهو موضوع يحيلنا مباشرة على قصة يوسف عليه السلام حينما طلب من ملك مصر أن يمنحه منصب الأمين على خزينة البلد، لأنه رأى في نفسه الكفاءة والأهلية والاستحقاق لتحمل مسؤولية هذا المنصب.

ولذلك نجد أن هذا الدرس قد صُدّر بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة يوسف آية 54-55].

- درس العفو والتسامح: من المواقف التي وقعت في حدث فتح مكة عفو الرسول ﷺ على كفار قريش حين سألهم: ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالو: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم. أخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبهم فقال: أقول كما قال يوسف: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة يوسف آية 92]، فالعلاقة هنا تتجلى في العفو والتسامح التي تميز به يوسف عليه السلام وهو في مقام السلطة تجاه إخوته: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة يوسف آية 92] .

ختاما يمكن القول بأن المنهاج الجديد لمادة التربية الإسلامية منح للقرآن الكريم دوره المركزي في تأطير الكفايات المستهدفة من المادة؛ معرفياً ومهارياً ووجدانياً. وقد شكلت سورة يوسف المقررة في السنة الأولى بكالوريا أفضل نموذج للعلاقة النسقية التكاملية بين السورة المقررة ودروس المداخل، بالرغم من أن هذا الانسجام يظهر بالنظر إلى الموضوعات العامة الكامنة في السورة و عناوين الدروس المقررة بشكل عام، ولا ينطبق بالضرورة على التقسيم المعتمد للسورة في الكتاب المدرسي مع الدروس المرتبطة بكل شطر قرآني. كما لا نزعم بأن هذه العلاقة النسقية والتكاملية موجودة بين الكل السور المقررة في علاقتها بالدروس المقررة في مختلف الأسلاك والمستويات، إذ هناك بعض

السور المعتمدة التي تفتقد لوجود ناظم معرفي بينها وبين الدروس المقررة، خصوصا بالسلكين الابتدائي والإعدادي.

[1]- توزعت دروس المادة على عشر وحدات موزعة على مجالات متنوعة: (وحدة التربية الاعتقادية، التربية التعبدية، التربية العقلية والمنهجية، التربية المالية والاقتصادية، التربية الأسرية والاجتماعية، التربية الصحية والوقائية، التربية التواصلية والإعلامية، التربية الحقوقية، التربية الفنية الجمالية، التربية البيئية).

[2]- في هذا الصدد بالنسبة للمنهاج القديم (نظام الوحدات العشر) كان الاقتصار على سورة واحدة في كل مستوى دراسي بالسلك الإعدادي(سورة لقمان بالسنة الأولى، سورة الحجرات بالسنة الثانية، سورة الفتح بالسنة الثالثة). أما في السلك الثانوي التأهيلي فلا وجود للسور المقررة. وفي المقابل فالمنهاج الجديد (نظام المداخل الخمسة) عزز من عدد السور القرآنية المقررة في السلك الثانوي الإعدادي إلى سورتين في كل مستوى دراسي (سورتي ق ولقمان في السنة الأولى، وسورتي النجم والحجرات في السنة الثانية، وسورتي الحشر والحديد في السنة الثالثة)، وفي السلك الثانوي التأهيلي تم اعتماد سورة مقررة في مستوى دراسي (سورة الكهف بالجدع المشترك، وسورة يوسف بالسنة الأولى بكالوريا، وسورة يس في السنة الثانية بكالوريا).

[3]- ملحق دفتر التحملات الخاص المتعلق بتأليف وإنتاج الكتب المدرسية لمادة التربية الإسلامية، المادة الخامسة، يونيو 2016.

[4]- منهاج التربية الإسلامية بسلكي التعليم الثانوي الإعدادي والتأهيلي العمومي والخصوصي، مديرية المناهج، يونيو 2016، ص 7.

[5]- لمعاينة هذا الحضور الوظيفي والتأطيري البارز لسورة يوسف في مقاربة دروس مداخل المادة، يمكن العودة إلى الكتب المدرسية للسنة الأولى بكالوريا، وقد استعنت في ذلك على كتاب: "في رحاب التربية الإسلامية".

[6]- منهاج التربية الإسلامية بسلكي التعليم الثانوي الإعدادي والتأهيلي العمومي والخصوصي، مديرية المناهج، يونيو 2016، ص 8-9.

[7]- عبد السلام العزوزي، إشكال البناء النسقي لمداخل منهاج مادة التربية الإسلامية، مقال نشر في موقع إسلام منار، بتاريخ 20 مارس 2020.

[8]- عبد السلام العزوزي، إشكال البناء النسقي لمداخل منهاج مادة التربية الإسلامية، مقال نشر في موقع إسلام منار، بتاريخ 20 مارس 2020.

[9]- يوسف العلمي، ياسين سلين، منير عاند، ديداكتيك مادة التربية الإسلامية بالسلك الثانوي للمقبلين على المباريات التربوية والمهنية، ص 28.